

لبنان ليس امريكا التي يهين رئيسها ملك السعودية ووليّ عهده مراراً وتكراراً



التغيير

قُضي الأمر، وقرر لبنان الرسمي الركوع أمام المملكة، طلباً للغفران. أخطأ وزير الخارجية شربل وهبة في مقابلته الأخيرة، ليل أول من أمس، مع قناة «الحرّة» الأميركية. كتبت صحيفة الاخبار اللبنانية اليوم الاربعاء، أن الخطأ المرتكب هو في حق لبنان أولاً. مشاركته في المقابلة، ليساجل شخصيات لا صفة سياسية حكومية لها، هو خطأ بحق موقعه الوزاري. وخطأه الأكبر كان في تفوّقه بكلام عنصري ضد أبناء الجزيرة العربية، وسائر العشائر العربية والبدو، عبر استخدام الكلمة الأخيرة كشتيمة للخطأ من قدر مُساجله.

أما في السياسة، فكان وهبة شجاعاً في دفاعه عن رئيس الجمهورية، وعن المقاومة، كما في تحميله دول الخليج (المملكة وقطر تحديداً)، من دون أن يسمّييهما، مسؤولية إنشاء تنظيم «داعش» وتمويله. هذه

حقيقة نطق بها. لكنه في الحديث عن «داعش»، كما في تحميله الرياض مسؤولية قتل جمال خاشقجي في قنصلية المملكة في إسطنبول، كان يتصرّف كـمعلّق سياسي لا كرئيس لدبلوماسية دولة ليس هذا موقفها الرسمي. يُضاف إلى ذلك أنه قال ما قال، فيما رئيس الجمهورية العماد ميشال عون، ورئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل، يسعيان إلى ترتيب علاقاتهما بالمملكة.

حسنًا، أخطأ شربل وهبة. أخطأ، لفظيًا، بحق دولة سبق أن ارتكبت، عام 2017، لا منذ عقود، جريمة خطف رئيس حكومة لبنان، واعتقاله وإذلاله وإجباره على الاستقالة. ولم تتراجع عن جريمتها إلا بعد موقف لبناني رسمي صارم، ومواقف إقليمية ودولية أجبرتها على التراجع. وحتى اليوم، لم تعتذر، ولا طلب منها لبنان الاعتذار.. ولا حتى التوضيح.

المملكة (جرت خلفها باقي دول الخليج) استدعت السفير اللبناني لدى الرياض، فوزي كباره، لتسلّمه مذكرة احتجاج شديدة اللهجة، طالبة القيام بما يلزم لتصحيح الأمور. ونطق سفيرها في بيروت، وليد البخاري، باسم مجلس تعاون دول الخليج، ليطالب من وزير الخارجية اللبناني اعتذاراً رسمياً من دول المجلس.

الوزير وهبة كان قد أصدر بياناً اعتذر فيه عن «بعض العبارات غير المناسبة التي صدرت مني في معرض الدفاع عن فخامة رئيس الجمهورية». وأكد أنه لم يكن يقصد الإساءة إلى «أي من الدول أو الشعوب العربية».

في أيّ نموذج من العلاقات بين دولتين، يمكن لحدث مشابه أن يُعدّ أزمة دبلوماسية عادية تُعالج بالطرق الرسمية المعتادة. وأول العلاج الاعتذار العلني الذي أصدره الوزير. لكن، بدا واضحاً منذ اللحظة الأولى أن الرياض تريد استغلال ما جرى بهدف إذلال لبنان. جوقه المطبّلين للمملكة زابدوا عليها حتى كادوا يعلنون الحرب على لبنان. والمفارقة أنّ غالبيتهم العظمى لهم تاريخ من التعامل الذليل مع دول الخليج، إلى حدّ أنهم إما شاركوا المملكة عام 2017 مؤامرتها على رئيس الحكومة اللبنانية، وإما أنهم صفّقوا لها، وفي أحسن الأحوال، لاذوا بالصمت. لكنهم، وزملاءهم المنضمّين إليهم حديثاً، وعلى رأسهم المحرّـر من الـريتزسعد الحريري، تعاملوا مع تصريح وهبة كما لو أنه لا سابق له في تاريخ العلاقات الدولية، وأنه مبرّر لتشديد الحصار على لبنان وطرده اللبنانيين من دول الخليج. بعض وسائل الإعلام المموّلة من المملكة بشّرت منذ ليل أول من أمس بأن الرياض قد تقدم على إبعاد اللبنانيين الذين يعملون على أراضيتها. مرة جديدة، يجري تثبيت صفة الرهائن على هؤلاء المغتربين، وهي الصفة التي تلازمهم منذ ستينيات القرن الماضي، أيام اختارت المملكة عدواً لها يُدعى جمال عبد

الناصر، وأرادت من لبنان أن يصطفّ خلفها في مواجهة القائد العربي الأول.

المملكة، ومعها باقي دول الخليج، رفضت اعتذار وهبة. طالبت بجولة إذعان وإذلال، على سفاراتها، يقدّم فيها اعتذاراً خطياً. رفض وهبة ذلك، وهو غير المتمسك أصلاً بوزارة ما كاد يدخلها حتى صارت تصرّف الأعمال في غياب فريق عمل واستراتيجية دولة.

الدولة اللبنانية قررت القيام بجولة الإذلال والإذعان، نيابة عن شربل وهبة. سريعاً بدأ البحث عن بديل له، ولو بإجراء غير دستوري؛ أن يعتزل العمل الوزاري، ليحلّ محله وزير الخارجية بالوكالة. لكن الوكالة بيد دميانوس قطار، الوزير الذي يرفضه رئيس الجمهورية واختلّت علاقته برئيس الحكومة حسان دياب مذ قرر أن يسبقه إلى الاستقالة. حسناً، فلتكن عادة شريم. رسا الخيار عليها، إلى أن أدخل التعديل ليلاً، واتفق الرئيسان على إسناد حقيبة الخارجية، بالوكالة، إلى الوزيرة زينة عكر.

هكذا، ببساطة شديدة، قرر لبنان الركوع للمملكة. مشكلة دبلوماسية يمكنها أن تكون عابرة، لكنه أثر الخضوع لاعتبارها «آخر الدنيا». طبعاً، لبنان ليس الولايات المتحدة الأميركية التي يهين رئيسها الملك ونجله محمد مراراً وتكراراً، من دون أن تطلب منه ولو توضيحاً لكلامه. وليس المتوقع، تبعاً لموازن القوى، أن تكون بيروت كواشنطن. كان المطلوب، كل المطلوب، الحفاظ على ماء الوجه، ولو قليلاً. ربما من حظّ شربل وهبة السيئ أنه أخطأ في زمن التقارب العوني مع المملكة — بـُغضاً بسعد الحريري — فكان أضحية العيد غير السعيد.